

مقدمة في علم التوحيد والحقيقة

الشيخ د. محمد أمان الجامي

تَعْرِيفُ عِلْمِ الْعَقِيدَةِ

الحمدُ لله ربَّ العالمينَ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله وعلى آله وصحبه وبعْدُ:

نَسْتَأْنِفُ دُرُوسَنَا الَّتِي سَمَّيْنَاهَا الدُّرُوسَ الصِّفِيَّةَ بِتَمْهِيدٍ يَتَعَلَّقُ بِتَعْرِيفِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَعِلْمِ الْعَقِيدَةِ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، ثُمَّ الْإِجَابَةِ عَلَى بَعْضِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي قُدِّمَتْ قَبْلَ الْبَارِحَةِ.

وَكَمَا قُلْتُ صَارَ لِلتَّوْحِيدِ مَفْهُومَانِ، كَذَلِكَ لِلْعَقِيدَةِ مَفْهُومَانِ:

1 - الْمَفْهُومُ الْأَوَّلُ:

وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ هُنَا إِنَّمَا نَسِيرُ عَلَى مَفْهُومِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ وَمَعْلُومِ الْفِطْرَةِ وَبِالْعَقْلِ السَّلِيمِ أَنَّ السَّلَفَ كَانُوا عَلَى هَدًى وَعَلَى خَيْرٍ وَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لِأَنَّ مَعْنَى السَّلَفِ الصَّالِحِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ؛ الصَّحَابَةُ تَلَامِيذُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ أَخَذُوا الدِّينَ مِنْ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مَبَاشَرَةً وَبَدُونَ وَاسِطَةً، وَالتَّابِعُونَ تَلَامِيذُ الصَّحَابَةِ، هَؤُلَاءِ خَيْرُ النَّاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُمْ عَلَى هَدًى وَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. عَلَى الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ الَّذِي يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ يَبْحَثُ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيدَتُهُمْ، وَكَيْفَ كَانَ مَنْهَجُهُمْ فِي الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ فَيَسِيرُ عَلَى ذَلِكَ. هَذَا الْمَفْهُومُ هُوَ الَّذِي نَسِيرُ عَلَيْهِ هُنَا فِي جَامِعَاتِنَا، وَفِي مَسَاجِدِنَا، فِي جَمِيعِ دُرُوسِنَا فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. وَهَذَا الْمَنْهَجُ بِاخْتِصَارٍ لَيْسَ آرَاءَ الرِّجَالِ.

امْتَحَنَ - كما يعلم الجميع - الإمامُ أَحْمَدُ - رحمه الله - عندما تأثر الخليفة السابع من خلفاء بني العباس ، وهو من أعقل الخلفاء وأنبليهم كما قال المؤرخون ولكن مع ذلك أثرت فيه بَطَانَةُ السُّوءِ، وهذه نقطة مهمة ينبغي أن يَتَّبَعَ لَهَا الْعَاقِلُ؛ الإنسان مهما يكون عالمًا وعاقلاً ولبيباً البطانة تؤثر فيه لأنه يثق في البطانة، يجعل فيهم الثقة، فتؤثر؛ كانت بَطَانَتُهُ الْمُعْتَزِلَةُ - أتباع وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ ⁽¹⁾ - مازالوا به يُوسِّسُونَ إِلَيْهِ إلى أن أقنعوه بالقول بخلق القرآن وبنفي صفات الله تعالى، بدعوى أن إثبات الصفات - إذا أثبتنا لله صفات كثيرة أثبتنا قداماً - قالوا نحن لا نُؤْمِنُ إِلَّا بِقَدِيمٍ وَاحِدٍ وَهُوَ اللَّهُ، وَأَوْهَمُوهُ أَنَّ إثبات الصفات يؤدي إلى إثبات قداماء مع الله. قديم مع الله، القدرة قديمة والإرادة قديمة والعلم قديم والسمع قديم... كم قديم؟ بلا حساب. تأثر الرجل وزينوا له أكثر فأكثر، قالوا له لو قلت هذه الصفات ليست قديمة حادثة جعلت الله محلاً للحوادث ووقعت في ورطة؛ إذا ما السلامة وما التنزيه؟ أن تنفي هذه الصفات كلها، نُؤْمِنُ بِقَدِيمٍ لَا يَتَّصِفُ بِأَيَّةِ صِفَةٍ ⁽²⁾.

هذه العقيدة لما اقتنع بها المأمون العباسي أراد أن يدعو إليها ويستغل سلطانه في الدعوة إلى هذه العقيدة قصرًا وبغير رحمة. جمع العلماء والقضاة والأئمة وأمر الولاة التابعين له قال: تأمروهم كلهم بأن يعلنوا بهذه العقيدة ومن لا: إذا كان موظفًا يفصل فيطرد وإلا أرسلوا إليه - هو كان خارج بغداد - . فكان الإمام أحمد في طليعة الذين أنكروا وأعلنوا الإنكار، رُبط الإمام أحمد وأُرسِلَ إلى حيث هو في خارج بغداد، أراد الله أن يهلك المأمون

(1) هو: واصل بن عطاء الغزال، شيخ المعتزلة، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، ولد بالمدينة سنة 80 هـ وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، وإليه تنسب الواصلية من المعتزلة. وانظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (4/ 329)، ولسان الميزان (6/ 214). وانظر عن فرقته: الفرق بين الفرق (117)، والملل والنحل (1/ 46)

(2) قَالَ الشَّارِحُ فِي الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ: اسْتَقِينَا هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ (بِالْمَعْنَى) عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ وَابْنِ الْجَوَازِيِّ فِي مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ. ترجمة الإمام أحمد.

قَبْلَ أَنْ يَصَلَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ فَمَاتَ. فَرُدَّ إِلَى بَغْدَاد. لَكِنْ أُتْخِذَتْ هَذِهِ سِيَاسَةُ الدَّوْلَةِ : الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَنَقْيِ الصِّفَاتِ، صَارَتْ سِيَاسَةُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْ عَهْدِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَاقِعِ بِاللَّهِ ، ثَلَاثَةُ خُلَفَاءَ تَبَنَوْا هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَجَعَلُوا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ دَعْوَةَ النَّاسِ قَصْرًا وَجَبْرًا إِلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ. فَتَوَلَّى تَعْذِيبَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ وَكَانَ شَدِيدًا. مُحَلُّ الشَّاهِدِ: لَنَعْلَمَ مِنْهُجَ السَّلَفِ: يُجْلِسُونَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُضْرَبُ فَيُقَالُ لَهُ مَاذَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ وَمَاذَا تَقُولُ فِي نصوصِ الصِّفَاتِ؟ جَوَابُهُ وَاحِدٌ لَا يَتَغَيَّرُ: لَا يُتَجَاوَزُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، إِذَنْ مِنْهُجَ السَّلَفِ مَا هُوَ؟ عَدَمُ مُجَاوَزَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، أَنْ نَصِفَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ وَنَعْلَمَ مَعَانِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، نَعْلَمَ مَعْنَى السَّمْعِ وَمَعْنَى الْبَصَرِ وَمَعْنَى الْعِلْمِ وَمَعْنَى الْقُدْرَةِ وَمَعْنَى النُّزُولِ وَمَعْنَى الْاِسْتِوَاءِ، لَكِنْ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الصِّفَاتِ. هَلْ سَمِعْنَاهُ كَسَمْعِنَا؟ لَا، إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] بَصَرُهُ كَبَصَرِنَا؟ لَا، نُزُولُهُ كَنُزُولِنَا؟ لَا، اِسْتِوَاؤُهُ كَاِسْتِوَاءِنَا؟ لَا. بِمَعْنَى لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ الصِّفَاتِ، نُؤْمِنُ بِبَعْضِ الصِّفَاتِ وَنُؤَوِّلُ الْبَعْضَ أَوْ نُنْفِي؟ لَا. الصِّفَاتُ كُلُّهَا تُسَاقُ سَوَقًا وَاحِدًا: إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتًا لَا نُبَالِغُ فِيهِ إِلَى حَدِّ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَنُنْزِعُ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ وَلَا نُبَالِغُ فِي التَّنْزِيهِ إِلَى دَرَجَةِ التَّعْطِيلِ : الْوَسَطُ، هَذَا هُوَ مِنْهُجُ السَّلَفِ: لَا يُتَجَاوَزُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. إِذَنْ مِنْهُجُ السَّلَفِ يُؤْخَذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، هَذَا هُوَ الْمَفْهُومُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ: عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ كَانَ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ كُلَّهُمْ " انْتَبَهُوا هَذِهِ نَقْطَةً مُهِمَّةٌ جَدًّا: لَيْسَ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ فَقَطْ حَتَّى بَعْدَ الصَّحَابَةِ، خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ كُلَّهُمْ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ، وَخُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ الْخَلِيفَةُ السَّابِعُ، مِنْ قَبْلِهِ كُلَّهُمْ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ. إِذَا الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُونَ قَبْلَ نَشْأَةِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَانْتِشَارِ فِتْنَةِ الْكَلَامِ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ؛ قَبْلَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ كُلَّهُمْ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ. فَيَجِبُ أَنْ تَتَأَكَّدُوا وَتَكُونُوا عَلَى يَقِينٍ أَنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ الَّذِي نَدْرُسُهُ وَنَدْعُوا إِلَيْهِ هُوَ مِنْهُجُ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ: الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ.

حِينَما حَصَلَ ما حصل من نفي الصفات وتأويل الصفات واختلاف الناس في هذا الباب إلى عقائد: ظهرت العقيدة الجَهْمِيَّة وعقيدة الْمُعْتَزِلَة والعقيدة الْأَشْعَرِيَّة والماتريدِيَّة، كل هذه لا يلبس عليك مُلبس يقول هذه عقيدة المسلمين الأولين، هذا كثيراً ما يقوله بعض الأشاعرة هذه عقيدة المسلمين الأولين إلى أي تاريخ؟ متى وُلد الْأَشْعَرِي (3)؟ ومتى صار أَشْعَرِيًّا؟ متى؟ هذه كلها من بضاعة العباسيين بضاعة العهد العباسي. الْأَشْعَرِي قبل أن يكون أَشْعَرِيًّا كان مُعْتَزِلِيًّا الْمُعْتَزِلَة أقدم من الْأَشْعَرِيَّة، إذاً كيف يُقال إنَّ العقيدة الْأَشْعَرِيَّة هي عقيدة المسلمين الأولين، هذا تلبسٌ خطيرٌ جداً، المسلمون الأولون كما تعرفون ذلك من كُتُب التاريخ - وأشرت الآن إلى كلام الإمام البيهقي - لا يعلمون هذه العقيدة ولم تنشأ ولم تظهر إلا بعدهم، كلُّ من هذه الفرق والطوائف والعبادات المبتدعة كعبادات الصوفية كلها لم تظهر إلا بعدهم كلها منبُعها من البصرة من العراق، قبل ذلك المسلمون كانوا على عقيدة واحدة.

عَرَفْنَا الآنَ باختصار المفهوم الأول للعقيدة، فنحن على ذلك المفهوم الأول مع تأخير وقتنا: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى

(3) هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (260-324 هـ) يتصل نسبه بأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، كان أولاً معتزلياً ثم رجع عن ذلك وتاب وألف في الرد على المعتزلة كتاب الإبانة، وغيره، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية على أنهم يخالفونه إلى ما قد تاب منه ورجع عنه. انظر ترجمته لدى ابن عساكر: تبين كذب المفتري (ص: 147)، والأنساب (ص: 39)، والسبكي في طبقات الشافعية (2/ 245)، وابن خلكان: وفيات الأعيان (2/ 285)، وابن العماد: شذرات الذهب (2/ 303).

يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ⁽⁴⁾ وَالسَّيْفُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ ۖ [التوبة: ١٠٠] الَّذِينَ اتَّبَعُوا السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَلَوْ جَاءُوا فِي آخِرِ الدُّنْيَا،
يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الرِّضَا مَا حَصَلَ لِلأَوَّلِينَ طَالَمَا هُمْ تَأَسَّوْا بِهِمْ فَلَمْ يَغَيِّرُوا وَلَمْ يَبَدِّلُوا.

2- الْمَفْهُومُ الثَّانِي:

أَمَّا الْمَفْهُومُ الثَّانِي لِلْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، الْمَفْهُومُ السَّائِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْجَامِعَاتِ فِي الْخَارِجِ
بَدءً مِنْ جَامِعَةِ الْأَزْهَرِ الَّتِي تُعْتَبَرُ أَمَّا لَتِلْكَ الْجَامِعَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْخَارِجِ، لِأَنَّ الْجَامِعَاتِ فِي
خَارِجِ هَذَا الْبَلَدِ كُلِّهَا تَتَفَرَّغُ مِنَ الْأَزْهَرِ، عَقِيدَتُهُمْ مَعْرُوفَةٌ عَقِيدَةٌ يَعْتَرِّزُونَ بِهَا، إِذَا بَيْنَا أَنَّهُمْ
أَشَاعِرَةٌ لَمْ نَغْتَبْ وَلَكِنْ بَيْنَا الْوَاقِعَ الَّذِي يَعْتَرِّزُ بِهِ. لِذَلِكَ طَالِبُ الْعِلْمِ هُنَالِكَ إِذَا اشْتَرَى
كِتَابًا يَكْتُبُ عَلَيْهِ - لِأَنَّ الْكِتَابَ كَانَتْ عَزِيزَةً لَيْسَتْ كَمَا أَصْبَحَتْ الْآنَ عِنْدَكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ
مُنْتَشِرَةً يَمْلِكُ الطَّالِبُ كِتَابًا مَازَا يَكْتُبُ ؟ مَثَلًا: الْمَالِكِي مَذْهَبًا الْأَشْعَرِي عَقِيدَةً، الْقَادِرِي
طَرِيقَةً، هَذِهِ النِّسْبُ غَالِبًا مَا تَجِدُ عَلَى كِتَابِ أَوْلَئِكَ الطُّلَّابِ الْأَوَّلِينَ، نِسْبُ كَالنِّسْبَةِ الْمَالِكِي
أَشْعَرِي قَادِرِي، يَعْتَرِّزُ بِهِ هَذِهِ النِّسْبُ، يَنْتَسِبُ بِهِ هَذِهِ النِّسْبُ فَيَعْتَرِّزُ بِهَا. أَنْتُمْ مَا تَعْرِفُونَ تَحْسِبُونَ أَنَّ
هَذِهِ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ، لَا هَذِهِ أَشْيَاءُ مَوْجُودَةٌ وَاقِعَةٌ، وَلَا يَزَالُ شَبَابُ أَمْثَالِكُمْ يَجْلِسُ تَحْتَ
تِلْكَ السُّوَارِي وَالْأَعْمَدَةِ وَيَهْزُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: لَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَلَا تَحْتَهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَا
عَنْ يَسَارِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. هَذِهِ الْعَقِيدَةُ وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ بِالْمَفْهُومِ الْخَلْفِيِّ.

(4) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (3/ 1525)

ومما ينبغي أن نذكر لشبابنا، وقد انتشرت كُتُبُ الأشاعرة في مَكْتَبَاتِنَا وَبَيْنَ شَبَابِنَا، ما يقوله صاحبُ جوهرة التوحيد، والكتابُ موجودٌ الآن في الأسواق، تُحْفَةُ الْمُرِيدِ عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ. تحفة المريد للبيجوري الشافعي، على جوهرة التوحيد منظومة - منظومة غريبة يتناقض فيها الناظم تناقضاً غريباً فيقول:

فَتَابِعِ السُّنَّةَ مِمَّنْ سَلَفَ وَجَانِبِ الْبِدْعَةَ مِمَّنْ خَلَفَ
فَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ حَلِيفَ عِلْمٍ تَابِعاً لِلْحَقِّ

انْتَبِهْ لِلْبَيِّنَاتِ التَّالِيَةِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ:

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي إِتِّبَاعٍ مِّنْ سَلَفٍ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعٍ مِّنْ خَلَفٍ

فهو من؟ خلفي!!! خلفي يشهد على نفسه بأنه في شرٍّ. وهذا الكتابُ يُدرِّسُ في المعاهد الدينية - فينا من يعرفُ - ، معاهد تسمى المعاهد الدينية، تابعة لكلية الدعوة وأصول الدين. تحفظُ هذه المنظومة كأنه لا يعقلُ الذي يدرسُ: وَكُلُّ خَيْرٍ فِي إِتِّبَاعٍ مِّنْ سَلَفٍ ، كان في إمكان الطالب أن يقول: من السلفُ الذين كلُّ خيرٍ فيهم؟ ومن الخلفُ الذين فيهم كلُّ شرٍّ؟ من هم؟ هذا السؤالُ اعتقدُ لم يردْ على أذهانهم أو إذا وردَ يقولُ الشيخُ للتلميذ: لا تُناقشوا مثلَ هذه المسألة هذه لا تدركونها دعوها فلا تُناقشوا؛ وإلا طالبُ علمٍ عاقلٌ عربيٌّ يقرأ قوله

تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١٠) ﴿[فاطر: ١٠]﴾ ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ (١٦) ﴿[الملك: ١٦]﴾ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿[طه: ٥]﴾ يجعل المصحفَ

عَلَى جَنْبِهِ ثُمَّ يَفْتَحُ مَتْنِ السُّنُونِ فِيحْفَظُ: لَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ !! ماذا قرأت الآن في المصحف؟ ماذا فهمت من هذه الآيات؟ ما فهم منها شيئاً، لماذا؟ لأنهم ربُّوهم تربيةً سيئةً. الكتابُ والسنةُ إنما يُقرَّانِ مِنْ بَابِ التَّبَرُّكِ، ولكنَّ الْعِلْمَ والعقيدةَ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ مِنْ آراءِ الْبَيْجُورِيِّ وَالْهَدَّهْدِيِّ وَالْأُسُوقِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ. هكذا تَرَبَّوْا حَتَّى عَمِيتَ بَصَائِرُهُمْ، يَحْفَظُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ شَيْئاً أَبَداً، لَا فِي الْعَقِيدَةِ وَلَا فِي الْعِبَادَةِ وَلَا فِي الْأَحْكَامِ. آيَاتُ تَتْلَى تِلَاوَةً تَقْلِيدَةً وَلَكِنَّ الْعِلْمَ والعقيدةَ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ. هَذَا هُوَ مَفْهُومُ الْعَقِيدَةِ وَمَفْهُومُ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْقَوْمِ. فَأَنْتُمْ الْآنَ لَا تَعِيشُونَ مَعَ السَّلَفِ مِنْ حَيْثُ الزَّمَنِ وَلَكِنْ تَعِيشُونَ مَعَ الْخَلْفِ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ إِذَا تَجَاوَزْتُمُ الْمَرَحَلَةَ الثَّانِيَةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ أَنْ تَتَطَلَّعُوا عَلَى هَذِهِ الْكُتُبِ وَتَعْرِفُوا عَنْهَا، وَفِي الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ وَمَا قَبْلَهَا أَنْ تَبْتَعِدُوا عَنْ هَذِهِ الْكُتُبِ حَتَّى تَثْبِتَ عَقِيدَتُكُمْ وَتَنْضَجَ عَلَى مَنَهِجِ السَّلَفِ، بَعْدَ ذَلِكَ بِوَسْطَةِ مُشَايخِكُمْ وَمُدْرِسِيكُمْ تَطَّلَعُوا عَلَى هَذِهِ الْكُتُبِ فَتَطْلُبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَشْرَحُوا لَكُمْ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ حَتَّى تَعْرِفُوا مِنْ بَابٍ:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ وَلَكِنْ لِاتَّقِيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ وَقَعَ فِيهِ

هذا مَا يَنْبَغِي أَنْ نَعْرِفَ فِي بَدَايَةِ دُرُوسِنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - تَصَوُّرَ الْعَقِيدَتَيْنِ وَتَصَوُّرَ التَّوْحِيدِ. وَتَوْحِيدُنَا، كَمَا تَعْلَمُونَ وَكَمَا سَنَبْدَأُ، آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ وَإِنْ تَجَاوَزْنَا الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ: كَلَامُ السَّلَفِ بِشَرْحٍ وَتَفْسِيرٍ تِلْكَ الْآيَاتِ، لَيْسَ عِنْدَنَا الْقَوْلُ: هَكَذَا قَالَ الْبَيْجُورِيُّ، هَكَذَا قَالَ الْهَدَّهْدِيُّ، هَكَذَا قَالَ الْأُسُوقِيُّ، بِدُونِ زِيَادَةِ هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ مَا الدَّلِيلُ؟ هَكَذَا قَالَ الْهَدَّهْدِيُّ هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ؛ وَمَنْ عُوْفِي فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ، أَنْتُمْ فِي عَافِيَةٍ، لَكِنْ هَذِهِ الْعَافِيَةُ لَا تَشْكُرُونَهَا وَلَا تَدْرِكُونَ لَذَّتَهَا إِلَّا إِذَا عَرَفْتُمْ ذَلِكَ الشَّرَّ. يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا نَضَجَ أَنْ يَعْرِفَ سَبِيلَ

المؤمنين وسبيل المجرمين على حدٍّ سواءٍ. يقول العلامة ابن القيم ⁽⁵⁾ خير الناس الصحابة لأنهم عرفوا السبيلين. أولاً عرفوا سبيل المجرمين عندما كانوا في جاهليتهم إلى أن بعث الله محمداً ﷺ ودعاهم إلى سبيل المؤمنين، عرفوا سبيل المؤمنين فأحبوه لأنهم قد اكتتوا بنار سبيل المجرمين، وهم أشد الناس حباً للإسلام تقديرًا لما جاء به النبي ﷺ لأنهم ذاقوا مرارة الجاهلية ثم جاءهم الإسلام، لذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةُ عُرْوَةٍ إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ » إنما أكرّر دائماً نصيحتي لشبابنا بالاطلاع وأن يتعدوا قبل أن ينضجوا عملاً بهذا الأثر. الذي لم يعرف الجاهلية ونشأ في الخير وفي السنة وفي العقيدة ورضع العقيدة مع لبن الثدي، ونشأ في الخير لا يعرف شيئاً من الشر؛ جاءهم أصحاب الشر حالاً يلبسون عليه، وهذا هو الذي وقع، يلبسون عليه إما في باب العبادة فيوقعونه في الابتداع باسم الإكثار من الأذكار ولا بد أن يتخذ الإنسان شيخاً ليسير إلى الله، لا يصل الإنسان إلى الله إلا بواسطة شيخ يقوده إلى الله - شيخ الطريقة -، ولا بد أن يأخذ الإنسان الطريقة يزيّنوا له فيستميل الطيبين العاطفيين أصحاب العبادة فيدخلهم في البدع، فيأتي للآخرين فيقول أنتم تعيشون منفصلين عن العالم، تعالوا ندرس العقيدة الأشعرية والفلسفة والمنطق. يأخذ الشباب الصغار فيسجل لهم في الأشرطة الفاعل الحقيقي هو الله والعبد لا يفعل، الطالب الصغير يصدق ، العبد ليس له شيء الفاعل الحقيقي هو الله، هذه الجملة تؤثر في كثير من الشباب الصغار ، الفاعل الحقيقي هو الله والعبد ليس له فعل، فنسبة الفعل إلى العبد نسبة مجازية، كما تقول جرى الماء وتحركت الشجرة، لو قلت لهذا الأستاذ الفاعل الحقيقي هو الله من الذي صلى الآن ؟ من المصلي ؟ من الصائم ؟ من الحاج ؟ من المعتمر ؟ العبد أو رب العالمين ؟ هل يستطيع أن يقول الله هو الذي صلى ؟ كيف يُنسب

الفعل إلى العبد إذا لم يكن هو الفاعل الحقيقي؟ أنت صليت حقيقة وصمت حقيقة وحججت واعتمرت باختيارك وإرادتك ، هل تصدقون أن هذا الشريط يوجد في بعض الكليات عندنا في هذا البلد؟ دكتور، يتعاقدون مع دكتور فيأتي ليدرس العقيدة فيقف أمام هؤلاء المساكين الذين نشؤوا في الخير ولم يعرفوا من الشر شيئاً، يقول لهم: الفاعل الحقيقي هو الله ، ينهر الشاب الصغير فيشرع: الله هو الذي يفعل حقيقة والعبد لا، العبد ضعيفٌ ليس له فعلٌ ، فيصدق، هذا يسمى عقيدة الجبرية؛ العبد مجبورٌ ، دخلت على الأشاعرة باسم الكسب الأشعري ثم دخلت على شبابنا من حيث لا يشعرون. اسمعوا مرة أخرى أثر عمر: « إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ »، معرفة الجاهلية اليوم سهلٌ ميسورٌ لكن في مرحلة معينة، لا تشتغل بمعرفة الجاهلية، جاهلية علم الكلام، جاهلية علم التصوف، جاهلية القوانين، لا تشتغل بذلك حتى تنضج لأن لا ترتبك، ولكن بعد أن تكون طالباً جامعياً واسع الإطلاع لابد أن تعرف هذه الجاهليات. وطريقة معرفة هذه الجاهليات يجب أن يكون من كتب أتباع السلف، مثل كتب العلامة ابن القيم تبدأ مثلاً بقراءة كتاب الفوائد هذا الكتيب كان مقرراً في الجامعة للمطالعة ولكن فوق مستواهم، كتابٌ عظيمٌ ، كتيبٌ من حيث الحجم كتابٌ من حيث العلم، كان ينصح مشايخنا أن لا تخلو مكتبة طالب علم من هذا الكتيب: الفوائد، فهو يطبق على بعض الجاهليات فيشرح لك. وكتب شيخه وكتب من جاء بعده من دعاة الحق ينبغي أن تعرفوا الجاهلية بواسطة هذه الكتب ، لا تدخلوا مباشرة في كتب القوم: كتب علم الكلام وعلم التصوف لأن لا تغرقوا، بحرٌ خطيرٌ، ابدؤوا بكتب علماء السنة الذين عرفوا ، خصوصاً ابن القيم، ابن القيم عاش في أول حياته صوفياً كبيراً فيعترف بذلك فيقول: أنقذني الله على يدي شيخني ابن تيمية. لذلك معرفته لهذه الجاهليات وشرحه لتلك الجاهليات ليس كغيره ينبغي أن تدرسوا كتبه لتستفيدوا.

فعلى كل الاهتمام في تحصيل العلم ثم حفظ المتن كما سنقرأ في بعض الأسئلة التي
عندي ثم ملازمة أهل العلم وطلاب العلم الذين على منهج السلف هذا ما ننصح به شبابنا
الحاضرين والغائبين.